

التحرير والتنوير

وأتي في جانب هذا الاستفهام بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم .

والارتباب : الشك . والمراد : ارتابوا في حقية الإسلام أي حدث لهم ارتباب بعد أن آمنوا إيمانا غير راسخ .

وأتي في جانبه بالجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد أي حدث لهم ارتباب بعد أن اعتقدوا الإيمان اعتقادا مزلزلا . وهذا يشير إلى أنهم فريقان : فريق لم يؤمنوا ولكنهم أظهروا الإيمان وكنتموا كفرهم وفريق آمنوا إيمانا ضعيفا ثم طهر كفرهم بالإعراض . والحيث : الظلم والجور في الحكومة . وجيء في جانبه بالفعلين المضارعين للإشارة إلى أنه خوف في الحال من الحيف في المستقبل كما يقتضيه دخول (أن) وهي حرف الاستقبال على فعل (يحيف) . فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأسند الحيف إلى الله ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفا لا يظهر الحقوق . وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من الله وأن يكون حكم الرسول بغير ما أمر الله فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بأن شريعة الإسلام منزلة من الله ولا يؤمنون بأن محمدا E مرسل من عند الله فالكلام كناية عن إنكارهم أن تكون الشريعة إلهية وأن يكون الآتي بها صادقا فيما أتى به .

واعلم أن المنافقين اتصفوا بهذه الأمور الثلاثة وكلها ناشئة عن عدم تصديقهم الرسول سواء في ذلك من حلت به قضية ومن لم تحل .

وفيما فسرنا به قوله تعالى (أفي قلوبهم مرض) ما يثلج صدر الناظر ويخرج به من سكوت الساكت وحيرة الحائر .

هذا في يؤت ولم . آخر خبر إلى التنبيه الاستفهام من الانتقال للإضراب (بل) و A E الإضراب ب (أم) لأن (أم) لا بد معها من معنى الاستفهام وليس المراد عطف كونهم ظالمين على الاستفهام المستعمل في التنبيه بل المراد به إفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم لأنه قد اتضح حالهم فلا داعي لإيراده بصيغة استفهام التنبيه . وليست (بل) هنا للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال جميع الأقسام المتقدمة فإن مرض قلوبهم وهو ثابت ولا دليل على قصد إبطال القسم الأخير خاصة ولا على إبطال القسمين الآخرين .

وجملة (أولئك هم الظالمون) مستأنفة استئنفا بيانيا لأن السامع بعد أن طنت بأذنه تلك

الاستفهامات الثلاثة ثم أعقبت بحرف الإضراب يترقب ماذا سيرسي عليه تحقيق حالهم فكان قوله (أولئك هم الظالمون) بيانا لما يترقبه السامع .
والمعنى : أنهم يخافون أن يحيف الرسول عليهم ويظلمهم . وليس الرسول بالذي يظلم بل هم الظالمون . فالقصر الحاصل من تعريف الجزأين ومن ضمير الفصل حسر مؤكداً أي هم الظالمون لا شرعاً ولا حكم رسوله .

وزار اسم الإشارة تأكيداً للخبر فحصل فيه أربعة مؤكدات : اثنان من صيغة الحصر إذ ليس الحصر والتخصيص إلا تأكيداً على تأكيد والثالث ضمير الفصل والرابع اسم الإشارة .
واسم الإشارة الموضوع للتمييز استعمل هنا مجازاً لتحقيق اتصافهم بالظلم فهم يقيسون الناس على حسب ما يقيسون أنفسهم فلما كانوا أهل ظلم ظنوا بمن هو أهل الإنصاف أنه ظالم كما قال أبو الطيب : .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم ولا تعلق لهذه الآية بحكم من دعي إلى القاضي للخصومة فامتنع لأن الذم والتوبيخ فيها كانا على امتناع ناشئ عن كفرهم ونفاقهم .

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله وإلى رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون [51])